الانباري وترجيحه لرأي البصريين في إعراب الأسماء الستة

الدكتور يوسف قسوم

أستاذ محاضر "ب"

جامعة العربي التبسي –تبسة-

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى الوقوف على أهم المسائل النحوية المتداولة بين معظم المعلمين والمتعلمين من حيث الكتابة (الرسم) والاستعمال "الأداء" ألا وهي مسألة إعراب الأسماء الستة على ضوء لغات العرب كلغة التمام والقصر والنقص، مع التركيز على الانباري ورأيه من خلال ما قام به من ترجيح لراي البصريين وفق معايير منطقية وادلة مقنعة لاستعمال لغة التمام مع عدم نفيه لصلاحية استعمال بقية اللغات التي يجدر بأهل اللغة ومريديها ان يتعرفوا عليها وصولا إلى إيجاد الحلول المناسبة لإعراب كثير من الآيات والجمل والامثال التي يجدها البعض صعبة وليس لها وجوه من الاعراب في لغتنا الجميلة.

الكلمات المفتاحية: إعراب الأسماء، الترجيح، الأسماء الستة، الاستعمال، الأدلة، لغات العرب.

Abstract

This article identifies the most important grammatical issues that are common among most teachers and learners in terms of writing and the use "performance" which is the question of the expression of the six names in the light of Arabs languages such as ‘‘Attamam , El-Kasser and Nakes languages’’ (perfection, shortness and lack languages) focusing on Al-Anbari and his preference to the opinion of Basra grammarians in accordance with logical criteria and convincing evidences of the use of the ‘‘Attamam language’’ (perfection language), while he does not deny the validity of the use of the other languages that the native speakers of the language and its attendants should know in order to find suitable solutions to express many verses, sentences and proverbs that some find difficult and have no presence in our wonderful language.

Key words: **grammar of names; weighting; the six names; the use; the evidence; arab languages**.

توطئـة:

إن الائمة من السلف والخلف أجمعوا قاطبة على أن علم النحو شرط في رتبة الاجتهاد، وإن المجتهد لو جمع كل العلوم لم يبلغ رتبة الاجتهاد حتى يتعلم النحو فيعرف به المعاني التي لا سبيل لمعرفتها بغيره فرتبة الاجتهاد متوقفة عليه لا تتم إلا به، ومن المسائل النحوية المهمة جدا للجميع أساتذة وطلبة الأسماء الستة، حيث تستعمل في حياتنا اليومية طوعا أو كرها وهنا نذكر طرفة شيقة يتداولها الناس على مر العصور مضمونها: أن أحد الأشخاص ذهب ليسأل عن رجل يحتاجه فلما طرق الباب وفتح له: صاحب البيت عمن تبحث؟ فقال له: أبوك، أباك، أبيك هنا، فرد عليه لا، لو، لي. هذه الطرفة يتداولها العامة ولغات العرب في إعراب الأسماء الستة مؤصلة فيها، وهي تنطبق تماما على لغات التمام والقصر والنقص في السؤال الأول أبوك، أباك وهذا من غير أن يعلم الكير أن الاجابة الأولى والثانية صحية وسليمة هذا ما يؤكد أن كثيرا من الكلمات التي يراها البعض عامية وبعيد عن أصل لغة لها تأصيل في لغتنا الجميلة كما أن القرآن الكريم والسنة النبوية يزخران باستعمال هذه الأسماء ونجد على سبيل المثال سورة (يوسف) عليه وعلى رسولنا أفضل الصلاة وأزكى التسليم مزدانة بأروع الجمل العبارات وهي قمة في الفصاحة والبلاغة وفي هذا المقال أردت أبضا أن يتعرف الجميع على مشاهير علماء النحو وعلى من ألف كتاب ""الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين"" وإسهاماته ومؤلفاته ومواقفه ومنهجه وهذه محاولة لنشر معلومات ثمينة نادرة يجدر بالطلبة والمتخصصين التعرف عليها.

1– حياته:

هو الشيخ الإمام العالم، الزاهد، الحجة، الثبت، عبد الرحمان بن مُحَمَّد بن عبد الله بن أبي سعيد، المكنى بأبي البركات، الملقب بكمال الدين، وينسب إلى الأنبار أو إلى بغداد فيقال: كمال الدين أبو البركات الأنباري أو البغدادي، ولد سنة 513 هـ/1119 م، وقيل إن ولادته كانت في شهر ربيع الآخر من تلك السنة واختلفوا في مكان ولادته ومنهم من قال: ولد في الأنبار التي ينسب إليها ومنهم من قال: ولد في بغداد "فالقفطي ذكر أن **أبا البركات الأنباري**" سكن بغداد من صباه إلى أن توفي" **وابن قاضي شهبة** أورد أنه نزيل بغداد وأنه قدم بغداد في صباه.

أما **اليافعي** فيؤكد أنه "ولد ببغداد" والسيوطي يذكر أنه "سمع ببغداد عن عبد الوهاب الأنماطي"، وهذا الاختلاف شيء طبيعي في الحياة البشرية وخاصة تلك الفترة لضعف الاهتمام بولادة الوليد، ولانشغالهم في معترك الحياة العامة، ولأن وفاة العالم أشهر من ولادته فهو عند ولادته مجهول مغمور لكنه عند وفاته مشهور.

– تمتع **أبو البركات** بشخصية جمعت بين أكنافها الخصال الحميدة كلها من رقة وحزم وصلابة وجد وثبات ومعرفة وقدرة على الرد السريع وبراعة في الحوار، متأثرا بأستاذه "ابن الشجري" الذي يقول فيه "انه كان وقورا في مجلسه ذا سمت حسن، لا يكاد يتكلم في مجلسه بكلمة إلا وتتضمن أدب النفس أو أدب درس".[1]

– و**القفطي** ذكر انه كان فاضلا عالما زاهدا".[2]

– و**ابن كثير** يصفه "بالفقيه العابد الزاهد".[3]

– و**ابن قاضي** يقول فيه "كان زاهدا عابدا مخلصا تاركا الدنيا".[4]

ومدحه كثير من العلماء لا يتسع المقام لذكرهم، وعموما فسيرته وحياته جملة من الورع والمجاهدة والمجالدة وعلى الرغم من قدره وعلو مكانته عند الخلفاء قنع وزهد في دنياه. فكان أقرب إلى مسالك الصوفية ولم تكن الصوفية تستهويه مذهبا بل استهوته مسلكا، فنراه يجالس الصوفية، ويسلك مسلكهم في مواجهة أمور الحياة، إضافة إلى ذلك كان يتسم بالجد، ويظهر ذلك من خلال عبارة قالها تعليقا على مداعبة جرت بين الميداني والزمخشري "هذه فكاهة لا تليق بالمشايخ".[5] وكأنه أخذ بنصيحة أستاذه ابن الشجري حين قال:

لا تمزحن فإن مزحت فلا يكن مزحا تضاف به إلى سوء الأدب

واحذر ممازحة تعود عداوة إن المزاح على مقدمة الغضب

وبعد عمر زاخر بالنتاج العلمي والفكري، لقي "**أبو البركات البغدادي**" وجه ربه راضيا لما قدمه من خدمة جليلة للعلم وطلابه، فكانت وفاته ليلة الجمعة التاسع من شعبان من سنة 577 هـ/1181 م ببغداد،[6] عن أربع وستين سنة ودفن يوم الجمعة "بباب أبرز" بتربة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي (رحمه الله وتغمده بفسيح جناته).[7]

2– ثقافته وآثاره: يتجلى لنا من ثقافة صاحبنا أنه نشأ نشأة دينية وانتهت نحوية إلا أن هذا لم يمنعه من ممارسة الفقه والبحث عن صور الخلاف بين المذاهب، وإذا ماعلمنا بأن علوم الفقه متداخلة مع العلوم العربية والعكس صحيح، فإن هذا التداخل تأثر به أبو البركات البغدادي، لذا نجده في كتابه "الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين"، مترسما خطى علماء الفقه في أساليب العرض والمعالجة فثقافته الدينية أثرت فيه تأثيرا كبيرا لأنه نشأ وترعرع عليها، وتلقفها في صباه فسعة مداركه وتفطنه من جهة والظروف التي أحاطت به وملازمته لمشايخ العربية من جهة أخرى، هي التي دفعت به إلى الإحاطة والبراعة في النحو فأعطى فيه أكثر مما أعطي في سواه حتى قيل فيه "وكان قد تفرد بعلم العربية وشدت إليه الرحال".

3– آثاره: عندما نتحدث عن آثار الأنباري، لابد من الوقوف لحظات مع أخلص أصدقائه (**الكتاب**) فقد كان مصاحبا له في عزلته وأنيسه في وحدته، وعزاءه في حزنه، لم يتركه إلا بعد لقاء وجه ربه وفي هذه الفترة جادت قريحته بعدد كبير من المؤلفات، نالت استحسان أهل العلم جميعا، فأثنوا على مجهوداته ومصنفاته لما اشتملت عليه من مميزات فهذا ابن الأثير يقول: "وله تصنيفات حسنة في النحو".[8]

وشهد له **ابن خلكان** حيث قال: "وكتبه كلها نافعة".[9] وعبر **القرطبي** عنه:"واشتهرت تصانيفه وظهرت مؤلفاته".[10] أما عدد المصنفات فقد ذكر **الذهبي** أنها "مئة وثلاثون مصنفا في الفقه والأصول والزهد وأكثرها في الفنون العربية".[11] وأيده **ابن قاضي**.[12] و**ابن العماد**.[13] أما مؤلفاته فهي على ثلاثة أنواع:

1. آثاره المفقودة: وعددها ثمانية وستون مؤلفًا، ذكر **السيوطي** في بغية الوعاة خمسين مؤلفا منها، أما **ابن قاضي** شهبة في الطبقات فقد ذكر ستة منها، و**حاجي خليفة** في كشف الظنون ذكر ستة منها.[14] وصاحب هدية العارفين ذكر ثلاثة منها.

2. آثاره المخطوطة: وعددها ثمانية كتب، ذكرها **السيوطي** في بغية الوعاة.

3. آثاره المطبوعة: وتشمل على:

أ. الآثار اللغوية: وهي:

– البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث.

– حلية العقود في المقصور والممدود.

– الموجز في علم القوافي.

– زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء.

ب. كتب التراجم: وتعنى بأخبار الأدباء والنحاة وآثارهم، وتنحصر في كتاب واحد نزهة "**الألباء**" وله صلة بالنحو وتاريخه– طبع عدة طبعات.

ج. الآثار النحوية: وهي:

– **أسرار العربية:** حققه الأستاذ **مُحَمَّد بهجت البيطار**– طبع عدة طبعات يدور حول العلة النحوية.

– **الأغراب في جدل الإعراب:** حققه الأستاذ **سعيد الأفغاني** وطبع عدة طبعات ويدور حول الجدل الإعرابي– يتميز بالنزعة الفقهية والجدل العقلي.

– **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين** طبع بعناية الأستاذ **محي الدين عبد الحميد**.

– **البيان في غريب اعراب القرآن**، تحقيق **د.طه عبد الحميد**.

– **لمع الأدلة في وجوه النحو**.

4– منهجه: للأنباري منهجه الخاص على غرار النحويين الذين يتبنى كل واحد منهم منهجا خاصا به ومؤلفات (**أبي البركات**) تعبر تعبيرا صادقا عن ملامحه الشخصية، ومداركه العلمية والثقافية والنحوي لا يكون نحويا حتى تكون له آراؤه الخاصة، ومواقفه المتميزة **فأبو البركات** البغدادي، يعد من القلائل الذين أبدعوا وجددوا وأسهموا في بناء البنية الأساسة للأنموذج العلمي، فأصبح **بحق** من رؤساء المذاهب، ورواد الفكر والمناهج المستقلة على مدى التاريخ النحوي.

ولو أخذنا طريقته وأسلوبه في التأليف لوجدناه التزم المنهج الفلسفي والمنطق الفقهي في الترتيب والتقسيم، فأراد بذلك أن يخضع علوم العربية لعلوم الفقه في الترتيب، والتنسيق، وإذا أردنا معرفة مذهبه النحوي لابد لنا من الوقوف عند شخصيته لمعرفة خصائصها وسماته، وهذا يتأتى من إلقاء الضوء على بعض القضايا النحوية التي تعبر أساسا عن هذا الاتجاه باعتبار أن للشخصية دورا مؤثرا وكبيرا عند التأليف.

5- مصادره العلمية: حرص **الأنباري** على إثبات نسبه العلمي اعتزازا وتقديرا في نزهة "**الألباء**" في معرض حديثه عن أستاذه (**ابن الشجري**): وعنه أخذت علم العربية".[15]

فالأنباري استمد ثقافته النحوية من أصولها لاسيما أن شيوخه هم أركان المدرسة البصرية النحوية أمثال: "**ابن طباطبا العلوي**"، "**الجواليقي**" و"**ابن الشجري**"،... وغيرهم من علماء عصره، وهذا يدلل على أن "**أبا البركات الأنباري**" أخذ علم النحو من منابعه البصرية، فتأثر بها وسار على نهجها، إلا أن فطنته وتمكنه قاده إلى التفرد في معالجة المسائل النحوية والاتساع في القياس. "إن انكسار القياس في النحو لا يتحقق لأن النحو كله قياس".[16] أضف إلى كثرة تعلقه بالمنطق في استنباط القواعد وتعليل الأحكام والموازنة بين الآراء، هذه الخصائص والسمات التي تميز بها الأنباري، اكتسبها من خلال انتمائه إلى المدرسة البصرية النحوية.

6- موقفه من النحاة: للأنباري موقف خاص من النحاة، يتصف بالعدل والإنصاف عند عرضه آراءهم سواء أكانوا بصريين أم كوفيين، مشهوريين أم مغموريين فموقفه يتميز بعدم التفريق بين العلماء لاسيما عند عرضه للمسائل النحوية فمرة تراه يعرض الآراء دون التعليق عليها ومرة العكس تماما يذكر الآراء، ويرجع الصائب بالدليل: ومرة أخرى يعرضها مقرونة بالموافقة الضمنية أو اختيار أحدها، قال أبو البركات حول تسمية الاسم اسما: "اختلف النحويون في ذلك، فذهب البصريون إلى أنه سمي (**اسما**) لوجهين أحدهما أنه سمي على مسماه وعلا على ما تحته من معناه فسمي اسما لذلك، والوجه الثاني ان هذه الأقسام الثلاثة لها ثلاث مراتب: فمنها ما يخبر به ويخبر عنه وهو الاسم نحو: زيد قائم، ومنها مايخبر به ولا يخبر عنه وهو الفعل نحو: قام زيد ومنها ما لا يخبر به ولا يخبر عنه، وهو الحرف نحو: هل وبل....وما أشبه ذلك.

ومن هذا سما الاسم على الفعل والحرف أي؛ ارتفع والأصل فيه (**سمو**) إلا أنهم حذفوا الواو من آخره وعوضوا الهمزة في أوله فصار (**اسما**) ووزنه (**افع**)، لأنه حذف منه لامه التي هي الواو في سمو، وذهب الكوفيون: سمي (**اسما**) لأنه سمة على المسمى يعرف بها والسمة العلامة والأصل فيه (**وسم**) وحذفوا الواو من أوله وعوضوا مكانها الهمزة فصار (**اسما**) ووزنه (**اعل**)، لأنه قد حذف منه لامه التي هي الواو في وسم قال أبو البركات: والصحيح ما ذهب إليه البصريون.

أما ما ذهب اليه الكوفيين فهو صحيح من جهة المعنى فاسد من جهة التصريف.[17] وهكذا نجد "**أبا البركات**" يدلى بدلوه في المسائل النحوية وهذا مثال آخر قال **أبو البركات:** حول عامل الجزم في جواب الشرط: "ذهب الكوفيون إلى أن جواب الشرط مجزوم على الجوار، واختلف البصريون فذهب الأكثرون إلى أن العالم فيهما حرف الشرط، وذهب آخرون إلى أن حرف الشرط وفعل الشرط يعملان فيه، وذهب آخرون إلى أن حرف الشرط يعمل في فعل الشرط، وفعل الشرط يعمل في جواب الشرط، وذهب أبوعثمان المازني إلى أنه مبني على الوقف. أما **الكوفيون** فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا أنه مجزوم على الجوار لأن جواب شرط مجاور لفعل الشرط لازم له، لا يكاد ينفك عنه فلما كان منه بهذه المنزلة في الجوار حمل عليه في الجزم، فكان مجزوما على الجوار والحمل على الجوار كثير قال الله تعالى: ﴿**لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ**﴾.[18] وجه الدليل أنه قال والمشركين بالخفض على الجوار، وإن كان معطوفا على الذين فهو مرفوع لأنه اسم يكن. أما **البصريون** فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إن العامل هو حرف شرط وذلك لأن حرف الشرط يقتضي جواب الشرط كما يقتضي فعل الشرط....قال أبو البركات: والتحقيق فيه عندي أن يقال: إن هو العامل في جواب الشرط بواسطة فعل الشرط لأنه لا ينفك عنه، فحرف الشرط يعمل في جواب الشرط عند وجود فعل الشرط لا به، كما أن النار تسخن الماء بواسطة القدر والحطب، فالتسخين إنما حصل عند وجودهما لابهما لأن التسخين إنما حصل بالنار وحدها فكذلك هاهنا.[19]

7- أثر المدرسة البصرية في منهجه النحوي: كما ذكرنا سابقا وعرضنا مواقف **الأنباري**، أنه تشدد في شروط السماع وتوسع في القياس، وتأثره بشيوخه الذين ذكرناهم، انه بصري النزعة فكرا وثقافة ومقاييس علمية، وان مخالفته حينا لآراء البصريين لا يدل على انتمائه لغير هذه المدرسة التي تتلمذ فيها وأخذ نظرياته في السماع والقياس والعلة والتعليل والعامل.

هذه المخالفة من دلائل قدرته في اتخاذ الرأي المستقل والقوة في الشخصية، ولا يخرج به عن مدرسته البصرية إضافة إلى أنها ظاهرة طبيعية ليست مقصورة على أبي البركات، فقد خالف سيبويه أستاذه الخليل وخالف المبرد أستاذه سيبويه، وإذا تتبعنا أثر المدرسة البصرية للمسنا أن صلته وثيقة بها من خلال:

- تعليقه على مصنفات أبي علي الفارسي وتدريسه لتلاميذه في المدرسة النظامية.

- إعجابه وتأثره بنحو وأركان المدرسة البصرية والتي اتسمت فيما بعد بخصائص مميزة في التفريعات والتفصيلات في الأصول على يد ابن السراج وأبي على الفارسي والتي سماها المحدثون المدرسة القياسية. فقد وصف صاحبنا أبا علي الفارسي بأنه من أكابر أئمة النحو... وابن جني حذاق النحاة....وابن السراج بأنه: "أحد أئمة النحو المشهورين وبأنه كان ثقة".[20]

- تأثره بسمات المدرسة القياسية من خلال:

أ. الاستقلال الفكري: رغبته في الابتكار والإبداع وبهذا الدافع صنف كتبه المعروفة في الأصول والاختلاف.

ب. التفرد في معالجة المسائل النحوية واتخاذ الموقف المميز.

ج. الجدة في العرض والمعالجة وأساليب التصنيف (الترتيب والتبويب).

د. اتساعه في القياس: قال: "إن انكسار القياس في النحو لا يتحقق لأن النحو كله قياس.[21]

هـ. الاستعانة بالمنطق في طرح المسائل واستخلاص القواعد والموازنة بين الآراء قال: الابتداء يعمل في الخبر عند وجود المبتدأ لا به، كما أن النار تسخن الماء بالقدر والحطب فالتسخين إنما حصل عند وجودهما لا بهما لأن التسخين إنما حصل بالنار وحدها فكذلك ها هنا الابتداء وحده هو العامل في الخبر عند وجود المبتدأ إلا أنه عامل معه لأنه اسم والأصل في الأسماء ألا تعمل.[22]

يتبين من كل هذا أن الأنباري في دراسته منهجا مستقلا، فهو ينظر ويعتمد الأقيسة المنطقية والأدلة العقلية في عرضه للمسائل النحوية، مقتبسا خصائص المدرسة البصرية مستفيدا من أدائها وخلافاتها مع الكوفيين مستعينا بالمنهج الفقهي في التصنيف كما ذكر الدكتور فاضل السامرائي: "لا أدري كيف يمكن أن يكون مثل هذا الرجل بغداديا وآراؤه البصرية واضحة بينة".

ثانيا: ترجيحه لرأي البصريين في إعراب الأسماء الستة: إن **الأنباري** اتبع في دراسته النحوية منهجا مستقلا معتمدا الأقيسة المنطقية والأدلة العقلية عند الاحتجاج والمجادلة، وأنا في هذا المقال أوردت الآراء كما وردت في كتابه الإنصاف لتسهيل الفهم، وخصصت هذا المقال لردود **الأنباري** على المدرستين البصرية والكوفية والنحاة المذكورين.

أولا: رد الأنباري على الكوفيين: يجيب عن كلمات الكوفيين الذين يقولون بأن الأسماء الستة معربة من مكانين: أما قولهم: "إن هذه الحركات تكون حركات إعراب في حال الإفراد فكذلك في حال الإضافة" قلنا هذا فاسد لان حرف الإعراب في حال الإفراد هو الباء، لان اللام التي هي الواو من "**أبو**" لما حذفت من آخر الكلمة صارت العين التي هي الباء بمنزلة اللام في كونها آخر الكلمة, فكانت الحركات عليها حركات إعراب، فأما في حال الإضافة فحرف الإعراب هو حرف العلة.[23]

لأنهم لما أرادوا أن يجعلوا اختلاف الحروف بمنزلة اختلاف الحركات ردوا اللام في الإضافة، ليدلوا على أن من شأنهم الإعراب بالحروف توطئة لما يأتي من باب التثنية والجمع، وإذا كان حرف الإعراب هو حرف العلة لم تكن هذه الحركات على الباء في حال الإضافة حركات إعراب، لان حركات الإعراب لا تكون في حشو الكلمة، وصار هذا بمنزلة تاء التأنيث إذا اتصلت ببناء الاسم نحو قائم وقائمة فإنها تصير حرف الإعراب، لأنها صارت آخر الكلمة وتخرج ما قبلها عن تلك الصفة،لأنه قد صار بمنزلة حشو الكلمة، فكذلك ها هنا. وهكذا يستطرد ويرد بالدليل على الكوفيين:

وصولا إلى قوله: "وأما قولهم[24]" تغير الحركات على الباء في حال الرفع والنصب والجر يدل على أنها حركات إعراب" قلنا هذا لا يدل على أنها حركات إعراب، لأنها إنما تغيرت توطئة للحروف، التي بعدها لأنها من جنسها، كما قلنا في الجمع السالم نحو "مسلمون ومسلمين" فإن ضمة الميم في الرفع تتغير إلى الكسرة في حال الجر والنصب، وليس ذلك بإعراب وإنما جعلت الضمة توطئة للواو، والكسرة توطئة للياء. فكذلك ها هنا – وإذا بطل أن تكون هذه الحركات حركات إعراب، وأجمعنا على أن هذه الحروف—التي هي الواو والألف والياء— تدل على الرفع والنصب والجر الذي هو جملة الإعراب؟ فلا حاجة إلى أن يكون معربا من مكان آخر. ويواصل **الأنباري** رده على الكوفيين: وأما قولهم: "إنما أعربت هذه الأسماء من مكانين لقلة حروفها" قلنا: هذا ينتقض بغد ويد ودم, فإنها قليلة الحروف ولا تعرب في حال الإضافة إلا من مكان واحد.[25] وأما قولهم: "ليزيدوا بالإعراب في الإيضاح والبيان" قلنا: الإيضاح والبيان قد حصل بإعراب واحد فصار الإعراب الزائد لغير فائدة والحكيم لا يزيد شيئا لغير فائدة، فوجب أن تكون معربة من مكان واحد كسائر ما أعرب من الكلام. وهنا يختم قوله والله أعلم.

تعليق وتوضيح: يتضح من خلال رد الأنباري على الكوفيين أنه لم يذهب إلى ما ذهبوا إليه

بل فند رأيهم وحكم عليه بالفساد بالدليل والحجة وأكد أنها معربة من مكان واحد وقد أوردت مقاله بالتفصيل.

ثانيا: رد الأنباري على النحاة:

1. رده على "أبي الحسن الأخفش": أوردت رأي هذا النحوي "ودليله عليه والآن أورد رد الأنباري حتى تتضح الصورة أكثر وزيادة على ذلك قلنا أن **أبا الحسن الأخفش** له قولان:

– القول الأول: ذهب مذهب البصريين.

– أما **القول الثاني:** أنها ليست بحروف إعراب—وهذا رده كما ورد: "وهذا القول فاسد، لأنا نقول: لا يخلو أن تكون هذه الأحرف، دلائل الإعراب في الكلمة أو في غيرها، فإن كانت تدل على إعراب في غير الكلمة فوجب أن يكون الإعراب فيها, لأنها آخر الكلمة، فيئول هذا القول إلى قول الأكثرين، وإن كانت تدل على إعراب في غير الكلمة، فيؤدي إلى أن تكون الكلمة مبنية، وليس من مذهب هذا القائل أنها مبنية فسنبين فساد مذهبه أن الواو والألف والياء في التثنية والجمع ليست بحروف إعراب.[26] ولكنها دلائل الإعراب، مستقصى في موضعه،إن شاء الله تعالى.

توضيح: حكم **الأنباري** على هذا الرأي بالفساد وقد ذكر الأدلة ولا داعي لتكرارها.

2. رده "على بن عيسى الربعي": لقد أوردت فيما سبق رأيه ودليله هو الآخر والآن من باب التنسيق أورد رد الأنباري على هذا الرأي: فأما من قال: لأن الأصل في قولك هذا أبوه "**هذا أبوه**" فاستثقلت الضمة على الواو فنقلت إلى ما قبلها–وهكذا في بقية النقل والقلب– وهذا الرأي لم يحكم عليه بالفساد بل استحسنه وأورد الأدلة التي تؤيد ذلك.

3. رده على "أبي عثمان المازني": الذي قال: إن الباء حرف الإعراب، والواو والألف والياء نشأت عن الإشباع بالحركات. فيرد عليه: "وأما من ذهب إلى أن الباء حرف الإعراب هذا القول فاسد، لأن إشباع الحركات إنما يكون في ضرورة الشعر كما أنشدوه من الأبيات.

وأما في حال اختيار الكلام فلا يجوز ذلك بالإجماع، وهاهنا بالإجماع تقول في حال الاختيار: هذا أبوك ورأيت أباك، ومررت بأبيك، وكذلك سائرها فدل على أنها ليست للأشباع عن الحركات، وأن الحركات ليست للإعراب.

توضيح: حكم الأنباري على رأي "**أبي عثمان المازني**" بالفساد،وقد أوردت أدلته بالتفصيل.

ثالثا: رده على البصريين:

من خلال رد **الأنباري** على الكوفيين ومشاهير النحاة وتتبعي لهذه المسألة وجدت أن الأنباري ذهب مذهب البصريين في هذه المسألة ومن ذلك قوله:

"والذي يدل على صحة ما ذهبنا إليه وفساد ما ذهبوا إليه، أن ما ذهبنا إليه لا نظير له في كلام العرب, فإن كل معرب في كلامهم ليس له إلا إعراب واحد، وما ذهبوا إليه لا نظير له في كلامهم, فإنه ليس في كلامهم معرب له اعرابان فبان أن ما ذهبنا إليه له نظير في كلامهم وما ذهبوا إليه لا نظير له في كلامهم، والمصير إلى ماله نظير أولى من المصير إلى ما ليس له نظير".[27] ويؤكد قوله مرات عديدة على أن الأسماء الستة معربة من مكان واحد قوله: "وأجمعنا على أن هذه الحروف—التي هي الواو والألف والياء— تدل على الرفع والنصب والجر هو جملة الإعراب، فلا حاجة إلى أن يكون معربا من مكان آخر.

توضيح وتعليق: لقد أوردت الآراء والأدلة ثم بعد ذلك أوردت ردود الأنباري— ورأيي الخاص "أن الأنباري كان عادلا إلى حد كبير، فالإعراب للإبانة والإفصاح ولا يمكن الجمع بين إعرابين في كلمة واحدة لأن الدارس أو القارئ تتداخل عنده المفاهيم مهما كانت الحجج والبراهين، ورغم ذلك لا يجب أن يستهان بهذه الآراء فهي صادرة من علماء وفطاحلة تبقى مرصودة، لتعكس مدى ثراء الفكر العربي الذي استعمل المنطق والعقل والاستدلال منذ أربعة عشر قرنا.

رابعا: أشهر اللغات عند الأنباري ومعظم النحاة:

بعدما عرضنا لذكر أهم ما ورد في مسألة الاختلاف في إعراب الأسماء الستة، نذكر اللغة المشهورة وهي لغة التمام وكيف رجحها **الأنباري؟**، وكذلك معظم النحاة وبداية أذكر وأكرر ما قاله الأنباري من خلال استعماله الأقيسة ورده على النحاة والمدارس:

"أجمعنا على أن هذه الحروف—التي هي الواو والألف والياء— تدل على الرفع والنصب والجر الذي هو جملة الإعراب، فلا حاجة إلى أن يكون معربا من مكان آخر، وأما قولهم "إنما أعربت من مكانين لقلة حروفها" قلنا: هذا ينتقض بغد ويد ودم فإنها قليلة الحروف ولا تعرب في حال الإضافة إلا من مكان واحد،وأما قولهم: "ليزيدوا بالإعراب في الإيضاح والبيان، قلنا: الإيضاح والبيان قد حصل بإعراب واحد فصار الإعراب الزائد لغير فائدة، والحكيم لا يزيد شيئا لغير فائدة، فوجب أن تكون معربة من مكان واحد كسائر ما أعرب من الكلام والله اعلم".[28] هذا الكلام هو الفصل في هذه المسألة التي أيد فيها المدرسة البصرية—التي تقول: أنها معربة من مكان واحد والواو والألف والياء هي حروف الإعراب: كقولك: هذا أبوك، رأيت أباك مررت بأبيك فترفع بالواو وتنصب بالألف وتجر بالياء.

خامسا: ترجيح لغة التمام عند اغلب النحاة: هنا سأقتصر على ما جاء في كتابين مشهورين وهما قد جمعا خيرة الأقوال.

1. ما ورد في كتاب النحو الوافي: الأستاذ عباس. حسن

"بالرغم من تلك اللغات المتعددة التي وردت عن العرب في الأسماء الستة يجدر بنا أن نقتصر على اللغة الأولى التي هي أشهر تلك اللغات وأفصحها وأن نهمل ما عداها...."حرصا على التيسير ومنعا للفوضى والاضطراب للنا شيئين من استخدام لغات ولهجات متعددة."[29]

من هذا الكلام يتبين لنا أن الأستاذ عباس حسن صاحب هذا الكتاب الرائع، يؤكد على الاقتصار على لغة التمام وهي كافية شافية، وأيضا لا يلغي بقية اللغات.

اذ يقول في توضيحه وتمميشه أن محاكاتهما صحيحة ويكفي أن لغتي القصر والنقص وردت في الآثار بل ولغة القصر وردت في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿**قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ**﴾. من الآية 63: سورة طه.

فقط يؤكد في كتابه كما ذكر في الفصل الثاني: عند ذكر الفائدة من عرض تلك اللغات لبعض المتخصصين، اذ تعينهم في فهم النصوص القديمة التي لا تروقنا اليوم محاكاتها ولا القياس عليها.

2. ما ذهب إليه الإمام "أبو مُحَمَّد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري، في شرح "شذور الذهب في معرفة كلام العرب"

قوله: "وأقول الباب الثالث مما خرج عن الأصل الأسماء الستة المعتلة المضافة إلى غير ياء المتكلم، فإنها ترفع بالواو نيابة عن الضمة وتنصب بالألف نيابة عن الفتحة وتخفض بالياء نيابة عن الكسرة.[30]

هكذا لا يبقى مجال للأخذ والرد والجدال، فيكفينا شرفا أن هؤلاء العلماء، قد كفونا هذه المسألة ولا أدل على ذلك بالنسبة لي: من أن القرآن الكريم والسنة النبوية وشعر العرب— فيه إجماع ظاهر وواضح على أن اللغة المشهورة هي لغة التمام—وآيات القرآن معظمها إلا نادرا. كما ذكرت آنفا نجدها تزخر بهذه اللغة وهي مناسبة وموافقة تماما لبلاغة وفصاحة القرآن واللغة العربية هي لغة البيان ولغة التمام، هي اللغة التي أجمع عليها الجميع من قبائل عدنان وقحطان واختارها الرحمان لينزل بها القرآن.

خلاصة:

– إن صاحب الانصاف طرق 121 مسألة أيد البصريين في معظمها، ولم يخالفهم فيها إلا في تسع مسائل والمسألة التي تعرضنا لها كان التأييد فيها للبصريين بالبرهان والدليل والحجة، حيث حكم بصواب رأي البصريين وفساد رأي الكوفيين وبعض آراء النحاة المذكورين فيها.

– إن طرق مثل هذه المسائل الخلافية لمسألة إعراب الأسماء الستة والتعرض للغات العرب في إعرابها يبهر القراء ويشوق السامعين لما ينطوي عليه تراثنا العربي من مخزون قلما تجده عند الآخرين.

– لغة التمام ولغة القصر ولغة النقص لغات، لم لا تدرج في البرامج الوزارية وتدرس دراسة معمقة؟ يستفيد منها الجميع وخاصة المتخصصين والباحثين.

– إن مدرسة البصرة برغم تشددها فهي بحق تعكس مستوى راق رفيع ولا أدل على ذلك، فهذه المسألة التي عالجناها كانت مناسبة لما جاء في القرآن الكريم، فلغة التمام مؤصلة فيه، مهيمنة عليه وهنا نسجل أنها اللغة الأقوى والأشهر والأحسن، ويكفي أن القرآن الكريم كما ذكرنا،وهو كلام، رب العالمين نطق بها واختارها لتكون لسانه المبين.

– ليس عيبا أن نذكر ونتعرف على تلك اللغات وما قاله العلماء، وما استشهد به النحاة، بل بالعكس تماما نجد لغة القصر هي الأخرى لها مكان في القرآن الكريم: وهذا قوله عز وجل: ﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾. من الآية 63: سورة طه. فإذا لم نعرف ونتعرف على لغة القصر فسوف نبقى محتارين.

– إن الاستعمالات اليومية لهذه الأسماء الستة في الجامعات والمعاهد والمدارس والمؤسسات تفرض على الجميع التعرف عليها عن كثب وتجعلهم يتسابقون إلى معرفتها ومعرفة أحكامها، وهذا ما حاولت أن أصل إليه في هذه المقال على الأقل وأن أميط اللثام عن مثل هذه المسائل وأبعد الخوف والرهبة من النفوس والجنان.

– وأنا أطرق هذه المسألة وأبحث في بطون المصادر والمراجع لا أجد نفسي إلا كذرة في بيداء واسعة أمام علمائنا الأفذاذ الذين بحق تركوا لنا ميراثا أضعناه وعشنا تائهين.

الهوامش:

(**1**) السيوطي جلال الدين السيوطي. **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**. مكتبة الغانجي، القاهرة_مصر، طبعة 1. الجزء 2. 2005. ص 86.

(**2**) أبو الحسن القفطي.**أنباه الرواة على أنباء النحاة**. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة_مصر، طبعة 1. مجلد 1 الجزء 2. 1973. ص 189.

(**3**) ابن كثير الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي. متوفى سنة 774هـ. **البداية والنهاية**. دار بن رجب. القاهرة_مصر، طبعة 1. الجزء 12. 1425هـ، ، ص 331.

(**4**) تقي الدين أبي بكر أحمد بن قاضي شهبة الأسدي الدمشقي. توفي 851هـ. **كتاب الطبقات**. دار الفكر العربي. القاهرة_مصر، طبعة 1. 1998. ص 364.

(**5**) ابن الأنباري. **نزهة الألباء**. دار الفكر العربي. القاهرة_مصر، طبعة 1. 1998. ص 221.

(**6**) الأسنوي. **طبقات الشافعية**. 76/1 ينظر فوات الوفيات – الكتبي. ص 292.

(**7**) أبو الحسن القفطي. **أنباء الرواة**. الجزء 2. مرجع سابق. ص 171.

(**8**) ابن الأثير. الإمام العلامة عمدة المؤرخين أبو الحسن علي ابن أبي الكرم مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين. المتوفى سنة 630هـ **الكامل**. دار الكتاب العربي. بيروت_لبنان. طبعة 5. الجزء 1. 1405هـ. ص 477.

(**9**) شمس الدين أبو العباس أحمد الشهير بابن خلكان عليه رحمة الله **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، المطبعة الميمنية، القاهرة_مصر، ج 3، شهر ربيع الأول، 1310 هـ، ص 139.

(**10**)الذهبي. **العبر في خبر من غبر**، الجزء 1. ص 230. من الموقع الإلكتروني (http://www.alwaraq.net/).

(**11**) القفطي: انباء الرواة، الجزء الثاني، المصدر السابق، ص 170.

(**12**) تقي الدين ابي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة الأسدي الدمشقي. توفى 851هـ. **طبقات النحويين واللغويين**. دار الفكر العربي، القاهرة_مصر،. طبعة 1. 1998. ص 363 .

(**13**)ابن العماد الإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي ابن أحمد ابن مُحَمَّد العكري الحنبلي الدمشقي (136هـ –1089هـ). **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. دار ابن كثير. دمشق_سوريا. بيروت. طبعة 1. 1406هـ. ص 258.

(**14**) حاجي خليفة، جغرافي تركي مؤرخ عارف للكتب ومؤلفيها واسمه في الأصل مصطفى بن عبد الله ولد بالقسطنطينية عام1017 هـ توفي عام 1067هـ **كتاب كشف الظنون عن أسامي للكتب والفنون، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت_لبنان، طبعة 1، المجلد 8، 1999، ص ص 118، 220.**

(**15**) الأنباري. **نزهة الألباء**. ص 406.

(**16**) مُحَمَّد بن شاكر الكتبي. **فوات الوفيات**. دار صادر. بيروت_لبنان. طبعة1. 1974. ص ص 262–292.

(**17**) أبو البركات ابن الأنباري. **أسرار العربية**. الجزء 1. ص 28.

(**18**) سورة البينة. آية: 1.

(**19**) الأنباري. **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**، تأليف الشيخ الإمام كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن سعيد الأنباري النحوي (513 هـ/577هـ). المكتبة العصرية صيدا. بيروت. الجزء 2. 1987. ص 608.

(**20**) الأنباري. **نزهة الألباء**، ص 315.

(**21**) الأنباري. **لمع الأدلة**. ص 44.

(**22**) الأنباري، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**. الجزء1، ص 47.

(**23**) الأنباري. **مصدر سابق**. الجزء1: ص 31.

(**24**) الأنباري. **مصدر سابق**. الجزء1: ص 32.

(**25**) الأنباري. **مصدر سابق**. الجزء1: ص 33.

(**26**) الأنباري. **مصدر سابق**. الجزء 1: ص 22.

(**27**) الأنباري. **مصدر سابق**. الجزء 1: ص ص 20، 21.

(**28**) الأنباري. **مصدر سابق**. الجزء 7: ص ص 32، 33.

(**29**) عباس حسن. أستاذ سابق بكلية العلوم جامعة القاهرة ورئيس قسم النحو والصرف والعروض، عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة **النحو الوافي**. الطبعة الثامنة، دار المعارف. القاهرة_مصر. 1986. الجزء 1. ص 114.

(**30**) الامام أبو مُحَمَّد عبد الله جمال الدين بن يوسف ابن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري. المولود في القاهرة في سنة 708 هـ. المتوفى سنة 761هـ – **شذور الذهب**. ص 40.

قائمة المراجع:

1_ القرآن الكريم برواية ورش.

2_ الأنباري. **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**، تأليف الشيخ الإمام كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن سعيد الأنباري النحوي. المكتبة العصرية صيدا. بيروت_لبنان. 1987.

3_ ابن الأنباري. **نزهة الألباء**. دار الفكر العربي. القاهرة_مصر، طبعة 1. 1998.

4_ ابن الأثير. أبو الحسن علي ابن أبي الكرم مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني **الكامل**. دار الكتاب العربي. بيروت_لبنان. طبعة 5. 1405هـ.

5_ تقي الدين ابي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة الأسدي الدمشقي. **طبقات النحويين واللغويين**. دار الفكر العربي، القاهرة_مصر،. طبعة 1. 1998.

6_ حاجي خليفة، **كتاب كشف الظنون عن أسامي للكتب والفنون، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت_لبنان، طبعة 1، 1999**.

7_ ابن كثير الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي.. **البداية والنهاية**. دار ابن رجب. القاهرة_مصر، طبعة 1.

8_ أبو الحسن القفطي.**أنباه الرواة على أنباء النحاة**. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة_مصر، طبعة 1. 1973.

9_ مُحَمَّد بن شاكر الكتبي. **فوات الوفيات**. دار صادر. بيروت_لبنان. طبعة1. 1974.

10_ الذهبي. **العبر في خبر من غبر**، الجزء 1. ص 230. من الموقع الإلكتروني (http://www.alwaraq.net/).

11_ السيوطي جلال الدين السيوطي. **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**. مكتبة الغانجي، القاهرة_مصر، طبعة 1. 2005.

12_ عباس حسن. **النحو الوافي**. الطبعة الثامنة، دار المعارف. القاهرة_مصر. 1986

13_ ابن العماد الإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي ابن أحمد ابن مُحَمَّد العكري الحمبلي الدمشقي. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. دار ابن كثير. دمشق_سوريا. بيروت. طبعة 1. 1406هـ.